

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه مباركاً عليه
كما يحب ربنا ويرضى.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صلى الله وسلم
وبارك عليه وعلى آله وصحبه -.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)، أمّا بعد: فيا إخواني الكرام:
إذا مشى كأنه سيخرق الأرض أو يبلغ الجبال
طولاً، وإذا تكلم ملأ الأسماع بالفاظه الثقيلة، وإذا
نظر إلى غيره، نظر نظرة هوانٍ واحتقارٍ، وإذا نصح
غضب كالبركان.

فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمُتَكَبِّرُ، وَاسْمَعْ مَعِيَ هَذَا الْحَدِيثَ، قَالَ
النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ
كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ"، فَمَنْ مِنَّا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يَجْزِمَ بَعْدَمِ وَجُودِ هَذَا الْمِقْدَارِ الْقَلِيلِ جِدًّا مِنْ
الْكِبَرِ فِي قَلْبِهِ؟ إِذَا الْأَمْرُ خَطِيرٌ جِدًّا.

خَافَ الصَّحَابَةُ -رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مِنْ هَذَا
الْكَلَامِ، لِأَنَّ نَهَايَتَهُ عَدَمُ دُخُولِ الْجَنَّةِ دَارِ السَّلَامِ،
فَقَالَ رَجُلٌ: "إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا،
وَنَعْلُهُ حَسَنَةً"، مَا أَعْظَمَ حِرْصَ الصَّحَابَةِ عَلَى دِينِهِمْ!
حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ حُبَّ حُسْنِ اللِّبَاسِ وَالنِّعَالِ، قَدْ يَكُونُ
مِنْ الْكِبَرِ لِأَنَّ فِيهِ حُبَّ الْجَمَالِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ
اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُطْمَئِنَّا: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ

يُحِبُّ الْجَمَالَ"، ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمْ تَعْرِيفًا دَقِيقًا لِلْكِبَرِ،
فَقَالَ: "الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ"، إِذَا هَذِهِ
حَقِيقَةُ الْكِبَرِ: بَطَرُ الْحَقِّ-رُدُّ الْحَقِّ وَعَدَمُ قَبُولِهِ-
وَعَمَطُ النَّاسِ-احتقارهم وظلمهم والتعدي عليهم-
فليفتش كلُّ مَنْ قَلْبَهُ، وليُصَارِحْ نَفْسَهُ، قَبْلَ أَنْ يُحْرَمَ
جَنَّةَ رَبِّهِ.

إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْفَرُ مِنَ الْكِبَرِ، أَنَّ إِمَامَ الْمُتَكَبِّرِينَ هُوَ
إِبْلِيسُ، (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)، (بَطَرُ
الْحَقِّ)، فَسَأَلَهُ اللَّهُ-تَعَالَى-عَنْ سَبَبِ عَدَمِ السُّجُودِ:
(يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ-الْمُتَكَبِّرِينَ-)،

فَأَجَابَ مُفْتَخِرًا بِنَفْسِهِ، مُحْتَقِرًا آدَمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-:
(أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)، (غَمَطَ
النَّاسَ)، فَمَا النَّتِيجَةُ؟ (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ
لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ).

الْمُتَكَبِّرُ إِذَا أَخْطَأَ فَقِيلَ لَهُ: أَخْطَأْتَ اسْتَكَبَرَ.

الْمُتَكَبِّرُ يَرَى نَفْسَهُ عَلَى الصَّوَابِ دَائِمًا،
وَيَسْتَهْزِئُ بِكَلَامِ غَيْرِهِ.

الْمُتَكَبِّرُ لَا يَقْبَلُ النَّقْدَ وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا، وَلَا
يَرْضَى بِالنُّصْحِ وَلَوْ كَانَ تَلْمِيحًا.

الْمُتَكَبِّرُ يَتَفَاصِحُ وَيَحْسَبُ أَنَّهُ فَصِيحٌ.

الْمُتَكَبِّرُ يُحِبُّ أَنْ يَتَصَدَّرَ الْمَجَالِسَ، وَمَنْ حَاوَلَ
مُقَاطَعَتَهُ أَوْ مُعَارَضَتَهُ سَلَقَهُ وَآذَاهُ بِلِسَانِهِ الْحَدِيدَ،

يَحْسَبُ أَنَّهُ مَحْبُوبٌ عِنْدَ النَّاسِ وَهُوَ مَبْغُوضٌ، وَصَدَقَ
اللَّهُ-تَعَالَى:- (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارٍ).

الْمُتَكَبِّرُ يَرَى الْحَقَّ فِيمَا يَقُولُهُ وَلَوْ خَالَفَ آيَةً، أَوْ
حَدِيثًا صَحِيحًا صَرِيحًا، وَيُجَادِلُ فِي شَرِّعِ اللَّهِ-
تَعَالَى-بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا عَقْلِ وَلَا هُدًى، وَقَدْ يَصِلُ الْأَمْرُ
فِي تَعَامُلِهِ مَعَ مُخَالَفِيهِ إِلَى الشَّتْمِ وَالسَّبِّ، وَصَدَقَ
اللَّهُ-تَعَالَى:- (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ،
فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

الْمُتَكَبِّرُ لَا يَنْتَفِعُ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَةِ، وَلَا يَعْتَبِرُ
بِالْأَحْدَاثِ الْكُونِيَّةِ، وَلَا يَنْزِجُرُ بِالْعُقُوبَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ،

يَرَى الْحَقَّ بَاطِلًا، وَالْبَاطِلَ حَقًّا، فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الرُّشْدِ،
قَدْ غَرِقَ فِي الْغَيِّ، وَصَدَقَ اللَّهُ-تَعَالَى-: (سَأَصْرِفُ
عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ
يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ).

الْمُتَكَبِّرُ يُحِبُّ أَنْ يَقُومَ لَهُ النَّاسُ، وَلَا يَكَادُ يَرُدُّ
عَلَى الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ السَّلَامَ، لَا يَتَبَسَّمُ إِلَّا
لِأَصْحَابِ الْجَاهِ وَالْمَنَاصِبِ، وَأَمَّا لِغَيْرِهِمْ فَوَجْهُهُ
عَابِسٌ غَاضِبٌ، يُصَنِّفُ النَّاسَ عَلَى الْمَنَاصِبِ
وَالْجِنْسِيَّاتِ وَالْأَنْسَابِ، وَيَنْسَى أَنَّهُ وَهُمْ مِنْ أَبٍ
وَاحِدٍ مِنْ تُرَابٍ، كَأَنَّهُ فَوْقَ جَبَلٍ، يَرَى النَّاسَ صِغَارًا،

وَلَا يَدْرِي الْمَسْكِينُ أَنَّهُمْ أَيْضًا يَرُونَهُ صَغِيرًا.

حُكِيَ عَنِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ -رَحِمَهُ
اللَّهُ- أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ، وَهُوَ وَالِي
خُرَاسَانَ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ يَسْحَبُهَا وَيَمْشِي بِاخْتِيَالٍ وَكِبَرٍ،
فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ؟ فَقَالَ الْمُهَلَّبُ: أَمَا تَعْرِفُنِي؟ فَقَالَ: بَلْ
أَعْرِفُكَ، أَوَّلَكَ نُطْفَةً مَذِرَةً -قَدْرَةٌ فَاسِدَةٌ-، وَآخِرُكَ
جِيفَةٌ قَدِرَةٌ، وَحَشُوكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَوْلٌ وَعَذِرَةٌ،
وَصَدَقَ الْقَائِلُ:

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضِعًا*

فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ

وَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَحِرْزٍ وَمَنْعَةٍ*

فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمْ مِنْكَ أَمْنَعُ

الْمُتَكَبِّرُ مَبْغُوضٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْتَكْبِرِينَ)، مَبْذُورٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَجْمَعِينَ، حَتَّى
النَّارَ اشْتَكَتْ إِلَى رَبِّهَا-تَعَالَى- مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ، قَالَ
النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اِخْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ،
فَقَالَتِ النَّارُ: فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ:
فِي ضُعَفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا إِنَّكَ
الْجَنَّةُ رَحِمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي
أَعَذَّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَاكُمَا عَلَيَّ مَلُؤُهَا"، وَفِي
ذَلِكَ الْيَوْمُ لَا يَنْفَعُ الْمُتَكَبِّرِينَ النَّدَمُ، حِينَ يُقَالُ لَهُمْ:
(ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ).

أستغفرُ اللهَ لي ولكم وللمسلمينَ ...

الخطبة الثانية

الحمدُ لله كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، أمَّا بعدُ:
فَيَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ التَّوَاضَعَ قَدْ يُنْقِصُ قَدْرَ
الرَّجُلِ، وَيَضَعُ مِنْ مَكَانَتِهِ، فَلَا وَاللَّهِ، بَلْ عَلَى
العَكْسِ، قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: "مَا
تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ"، رَفَعَهُ فِي الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ.

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ قَدْرًا وَرِفْعَةً*

فَلِنْ وَتَوَاضَعَ وَاتْرُكِ الْكِبَرَ وَالْعُجْبَا

كَانَ سَيِّدُ الْمُتَوَاضِعِينَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا
أَكَلَ طَعَامًا لَعَقَ أَصَابِعَهُ، وَإِذَا سَقَطَتْ لُقْمَتُهُ أَمَاطَ -

أَزَالَ-عَنْهَا الْأَذَى وَأَكَلَهَا، وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ
أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ
الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، وَكَانَ إِذَا مَرَّ عَلَى صَبِيَانٍ،
سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَرَعَى الْغَنَمَ عَلَى قَرَارِيطٍ-مَالٍ قَلِيلٍ-
لَأَهْلِ مَكَّةَ، وَقَالَ: "إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ
وَرَسُولُهُ"، وَكَانَ يَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ
فَيَقْضِي لَهُمُ الْحَاجَةَ، وَلَمْ يَكُنْ فَظًّا وَلَا غَلِيظًا،
مُسْتَجِيبًا لِأَمْرِ اللَّهِ-تَعَالَى-: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، وَهَكَذَا تَرَى أَتْبَاعَهُ مِنْ أَهْلِ
الْهُدَى وَالرُّشْدِ.

وَاسْمَعْ لِأَثَرِ الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ فِي تَوَاضِعِ الْعَبْدِ،
قَالَ أَحَدُهُمْ: بَعَثَنِي قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِخَيْلٍ أَهْدَوْهَا

لِذِي الْكَلَاعِ الْحَمِيرِيِّ، وَكَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ حَمِيرَ فِي
الْيَمَنِ، قَالَ: فَأَقَمْتُ بِبَابِهِ سَنَةً لَا أَصِلُ إِلَيْهِ،
ثُمَّ أَشْرَفَ إِشْرَافَةً عَلَى النَّاسِ مِنْ غُرْفَةٍ لَهُ، فَخَرُّوا لَهُ
سُجُودًا، ثُمَّ جَلَسَ فَلَقِيَتْهُ بِالْخَيْلِ فَقَبِلَهَا، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُهُ
بِحِمَصٍ وَقَدْ أَسْلَمَ، يَحْمِلُ لَحْمًا بِدِرْهَمٍ، فَيَبْتَدِرُهُ-
يُسْرِعُ-قَوْمُهُ وَمَوَالِيهِ فَيَأْخُذُونَهُ مِنْهُ، فَيَأْبَى تَوَاضُعًا
وَهُوَ يَقُولُ:

أَفِ لِيذِي الدُّنْيَا إِذَا كَانَتْ كَذًا*

أَنَا مِنْهَا كُلَّ يَوْمٍ فِي أَذَى

وَلَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ*

أَنْعَمُ النَّاسِ مَعَاشًا؟ قِيلَ: ذَا

ثُمَّ بَدَّلْتُ بَعِيشٍ شِقْوَةً*

حَبِّدَا هَذَا شَقَاءً حَبِّدَا

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا نَشْهَدُ أَنَّكَ
أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا
قَيُّوْمُ.

اللَّهُمَّ أَصْلَحْ وُلاةَ أُمُورِنَا وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ
وَبَطَانَتِهِمْ، وَفَقَّهُمْ لِرِضَاكَ، وَنَصِرِ دِينَكَ، وَاعْلَإِ
كَلِمَتِكَ.

اللَّهُمَّ انصُرْ جُنُودَنَا الْمُرَابِطِينَ، وَرُدَّهُمْ سَالِمِينَ
غَانِمِينَ.

اللَّهُمَّ الْطِفْ بِنَا وَبِالْمُسْلِمِينَ عَلَى كُلِّ حَالٍ،

وَبَلِّغْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْفَرْجِ وَالنَّصْرِ مِنْتَهَى الْأَمَالِ.
اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقَنَا فَحَسِّنْ أَخْلَاقَنَا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَأَهْلِنَا وَالْمُسْلِمِينَ
مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَنَعُوذُ وَنَعِيذُهُمْ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ،
وَنَسْأَلُكَ لَنَا وَلَهُمْ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، وَالْهُدَى وَالسَّدَادَ،
وَالْبَرَكَاتِ وَالْتَوْفِيقَ، وَصَلَاحَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ يَا شَافِيَ إِشْفِنَا وَأَهْلَنَا وَالْمُسْلِمِينَ
وَالْمَسَالِمِينَ.

اللَّهُمَّ (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.